ابن سيده
إمام اللغة في الأندلس
(186 ـ 244هـ)

ابنُ سيده الأندلسيُّ، إمامُ اللُّغَةِ والنَّحوِ والشِّعرِ في بِلادِ الأَندلسِ في عَصرِهِ، مِنْ أَذكياءِ العربِ، بَلْ مِنْ أذكياءِ العالمِ العُميانِ الَّذِيْنَ مَرّوا عَلى تاريخِ العربِ والبَشريَّةِ أَجمع، وقَدْ عَدَّهُ العلَّامةُ «صلاحُ الدِّينِ الصَّفديُّ» في كتابِهِ «نَكتِ الهميانِ في نُكتِ العميانِ» مِنْ عُميانِ العربِ النَّابهينَ والأَذكياءِ.

فَلَقَدْ عَوضَهُ اللهُ عَنْ نِعمَةِ البَصرِ قوَّةَ البَصيرَةِ في قَلبِهِ وعَقلِهِ مَعاً، فَكانَ شَديدَ الحفظِ، سَريع البَديهَةِ، حاضرَ الحجَّةِ، يَتمتَّعُ بِذكاءٍ مُبدعٍ وخارقٍ، ويُذَكِّرُنا «ابنُ سيده» بِعلَّامةِ العصرِ الحديثِ في الثَّقافَةِ واللُّغةِ، وعَميدِ الأَدبِ العربيِّ «طَهَ حُسين» وكانَ مِثلَهُ ضَريراً.

يَقولُ «صلاحُ الدِّينِ الصَّفديُّ» في كتابِهِ المَذكورِ، مُنوِّهاً ومُعلِّلاً عَلى قوَّةِ بَصيرةِ العُميانِ: «والسَّببُ الَّذِي أَراهُ في ذَلكَ، أَنَّ ذهنَ الأَعمَى وفِكرَهُ يَجتمعُ عليهِ، ولا يَعودُ مَتَشَعباً بِما يَراهُ، ونَحنُ نَرَى الإِنسانَ إِذا أَرادَ أَنْ يَتذكَّرَ شَيئاً نَسيَهُ، أَغمضَ عينيهِ وفَكَّرَ، فَيَقعُ عَلَى ما شَرَدَ مِنْ حافظَتِهِ».

ومِنَ الأَمثلَةِ الَّتِي دَرجَتْ عَلى أَلسنَةِ النَّاسِ منذُ القَديمِ، وأَوردَها «الميدانيُّ» في كتابِهِ «مُعجمِ الأَمثالِ»: (أَحفَظُ مِنَ العُميانِ) يُريدونَ بِهِ مَدحَ المُبصرِ سَريعِ الحفظِ.

أَقولُ: إِنَّ «ابنَ سيده»، العالمَ الضَّريرَ، أَدركَ بِذكائِهِ ما لَمْ يُدركْهُ المُبصرونَ، وأصابَ مِنَ العِلمِ لُبَّهُ وجَوهَرَهُ، وأَحاطَ عَقلُهُ النَّافذُ بِشَتَّى عُلومِ عَصرِهِ، وأَصبَحَ عِندَ أَهلِ الأَندلسِ، موضِعَ فَخرٍ وإِعجابٍ، يُباهونَ بِهِ وبِعلمِهِ أَمامَ كُلِّ عالمٍ بارعٍ مُبصرٍ قادمٍ إِليهِمْ مِنَ المَشرقِ العربيِّ أَو مِنْ بِلادِ المَغربِ الأَقصَى.

لَمْ يَترُكِ «ابنُ سيده» كِتاباً في اللُّغةِ والأدبِ والنَّحوِ لِعُلماءِ المَشرقِ والمَغربِ، أو لِعُلماءِ الأَندلسِ ـ سواءٌ كانوا قبلَهُ أَو في عَصرِهِ ـ وصلَ إِليهِ، إِلَّا حَفظَهُ سَماعاً، وأَدرَكَهُ ووَعَى ما فيهِ، وعياً وإِدراكاً كاملينِ. واستطاعَ أَنْ يُفيدَ بِحفظِهِ النَّاسَ، وأَنْ يَستدركَ بِوعيهِ النَّقصَ والخَطأَ في تِلكَ الكُتبِ، وأَنْ يُصَحِّحَ أَغلاطَ المُصنِّفينَ والمُؤلِّفينَ.

وتَزدادُ مَعرَفتُنا بِـ «ابن سيده» إِعجاباً، إِذا عَلِمْنا أَنَّ والِدَهُ أَيضاً كانَ ضَريراً، وهَذا يَعني أَنَّ عَلى الابنِ أَنْ يَبذلَ جُهداً مُضاعفاً لِتجاوزِ عَقباتِ الحياةِ، ولِتَحقيقِ مَصالحِ عيشِهِ، وأَنْ يَعتمدَ عَلى نَفسِهِ في الكَسبِ والتَّعلُّمِ، وغيرِ ذَلِكَ مِنَ الحاجاتِ الضَّروريَّةِ الَّتِي غالباً ما يَعتمدُ المَرءُ في تَحقيقِها، أَو تَحصيلِ جزءٍ مِنها عَلى وَليِّ أَمرِهِ، ولَكِنَّ «ابن سيده» حَقَّقَ وأَدركَ مِنْ علوِّ المنزلةِ العلميَّةً بينَ أَبناءِ عَصرِهِ ما لَمْ يُحَقِّقْهُ المُبصرونَ بِكُلِّ ما أُوتوا مِنْ هِمَّةٍ، أَو مِنِ امتلاكٍ لِلوسائِلِ والأَسبابِ الَّتِي تُساعدُهُمْ أَو تُعينُهُمْ عَلى ذَلكَ.

فَمنْ هوَ ابنُ سيده؟ وأَينَ عاشَ؟ وكيفَ كانَتْ حياتُهُ؟

❁ ❁ ❁

هوَ أَبو الحسَنِ عَليٌّ بنُ إسماعيلَ المَعروفُ بِـ «ابن سيده» المَرسيُّ، نسبةً إِلَى مَدينةِ مَرسيَّةَ في بِلادِ الأَندلسِ، ويُقَالُ: إِنَّ لَقبَ «ابنِ سيده»[1] كانَ في الأَصلِ يُطلَقُ عَلى أَبيهِ إِسماعيلَ الَّذِي كانَ مِنَ الأَعيانِ والعُلماءِ والمُحدِّثينَ في بَلدتِهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَليهِ كَما جَرَتِ العادةُ قَديماً، حيثُ كانَ مِنَ المُتعارفِ عليهِ بينَ النَّاسِ إِطلاقُ لَقبِ الأَبِ عَلى الابنِ.

كَما اختلفَ المُؤَرِّخُونَ في اسمِ أَبيهِ، فذكرَ بَعضُهُمْ أَنَّ اسمَهُ «أَحمدُ»، وبَعضُهُمْ ذَكرَ أَنَّ اسمَهُ «مُحمَّدٌ»، ولَكِنَّ الأَصحَّ ما ذَهبَ إِليهِ المُؤرِّخُ الأَندلُسيُّ «ابنُ بَشكوالَ» بِأَنَّ اسمَهُ «إِسماعيلُ».

ولِدَ «ابنُ سيده» في مَدينةِ مَرسيَّةَ سنةَ (398) هجريَّةً، ودرجَ وتَرعرَعَ فيها، ونَشأَ في بيتِ أَبيهِ عَلى حُبِّ العلمِ وتَحصيلِهِ، فَأَخذَ في البِدايَةِ عَنْ أَبيهِ الَّذِي كانَ ضَريراً أَيضاً ما استطاعَ سَماعَهُ وتَحصيلَهُ مِنْهُ، وكانَ أَبوهُ قَدْ تَلقَّى العلمَ عَنِ العلَّامةِ الزُّبيديِّ الأَندلسيِّ الَّذِي كانَ حِجَّةَ أَهلِ الأَندلسِ في علومِ اللُّغةِ العربيَّةِ، ولَكِنْ ما كادَ الابن يَتفَتَّحُ عقلُهُ عَلى الدُّنيا حَتَّى لَقيَ أَبوهُ وَجهَ رَبِّهِ، وانْتَقَلَ مِنْ دارِ الفَناءِ إِلى دارِ البَقاءِ، فَعاشَ «ابنُ سيده» الابنُ يَتيماً، وكُتِبَ عليهِ أَنْ يُواجهَ مَشاقَّ الحياةِ وهوَ صَغيرٌ لَمْ يَشُبَّ عَنِ الطَّوقِ بَعدُ.

عكفَ «ابنُ سيده» عَلى مُطالعَةِ كُتُبِ اللُّغةِ والأَدبِ الَّتِي وَرثَها عَنْ أَبيهِ، وحَفظَ أَكثرَها، كما أُتيحَ لَهُ الاطِّلاعُ عَلى كُتُبِ عُلماءِ اللُّغةِ المَشرقيينَ ـ مِنْ بِلادِ الشَّامِ والعراقِ

(1) كما اشتُهرَ بهذا اللّقب المُحدّثُ أَبو المَعالي محمّد بن عبد الله المَعروف بابن سيده الدّمشقيّ، المتوفى في دمشق سنة 637هـ.

ومصرَ ـ الَّتِي غَزَتْ بِلادَ الأَندلسِ في غرَّةِ تِلكَ المرحلةِ مِنَ التَّاريخِ، فَمثلاً حَفظَ كتابَ «إِصلاحِ المَنطقِ» «لابن السِّكيتِ» وعَلَّقَ عليهِ وشَرحَهُ وهوَ لَمْ يَزَلْ حدَثَ السِّنِّ، كما قَرأَ كُتُبَ الأَصمعيِّ وابنِ الأَعرابيِّ وأَبي عُبيدةَ.

يَقولُ «ابنُ سيده» ذاكراً تَعلُّقَهُ بِهذِهِ الكُتبِ مُعتدّاً بِنفسِهِ بِفخرٍ وتَعالٍ عَلى المُتعلِّمينَ مِنْ أهلِ عَصرِهِ: «وأَمَّا ما في كتابِ الإِصلاحِ والأَلفاظِ وكُتبِ ابن الأَعرابيِّ وأَبي زيدٍ، وأَبي عُبيدةَ، والأَصمعيِّ وغيرِهِمْ مِنْ أَمثالِ هذا الَّذِي وضَعتُ (أَيْ كتابَ المحكمِ) فَأَكثرُ مِنَ الَّذِي يُحصَى مَدَدُهُ أَو يَحصرُهُ عَددُهُ، وهَلْ يَقومُ بِاعتقادِ هذا النَّوعِ إِلَّا مِثلي مِنْ ذَوي الحفظِ الجليلِ، والاضطلاعِ بِعلمِ النَّحوِ وصِناعةِ التَّحليلِ (أَي علمَ المنطقِ)؟! وإِنْ كُنتُ بينَ حُثالَةٍ جَهلَتْ فَضلي وأَساءَ الدَّهرُ في جَمعِهِمْ بِمثلي»[1].

ثُمَّ لازمَ العلَّامةَ «صاعدَ البَغداديَّ»[2] الوافدَ على الأَندلسِ مِنَ المَشرقِ، وكانَ مِنَ العارفينَ بِاللُّغةِ وفُنونِ الأَدبِ والأَخبارِ.

ومِنْ ثمَّ، بَعدَ شُهرَتِهِ عَكفَ «ابن سيده» عَلى السَّماعِ إِلى عَلَّامةِ الأَندلسِ «أَبي عَمرو الطلَمنكيِّ»[3] نَزيلِ قُرطُبَةَ، وذَلكَ عندما وَفدَ عَلى أَهلِ مَرسيَّةَ، اجتَمَعَ بِهِ «ابنُ سيده» بَعدَ

(1) مِنْ مُقدمّةِ كتابِهِ المُحكم.

(2) صاعد البغدادي: هوَ أَبو العلاء صاعد بن حسن البغدادي صاحب كتاب «الفصوص»، وأصله من الموصل. كان عالماً باللّغة والأدب، رحل إلى الأندلس فَأكرمه فيها الأعيان والحكّام. توفي في جزيرة صقليّة سنة 417هـ.

(3) أبو عمرو الطلمنكي: هو أحمد بن محمد المعافري الأندلسي الطلمنكيّ من علماء الأندلس. كان صاحب تصانيف، وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع. توفي سنة 420هـ.

أَنْ قَدَّمَهُ أَهلُ مرسيَّةَ إِليهِ.

رَوَى «ياقوتُ الحمويُّ» في «مُعجمِ الأُدباءِ»، و«ابنُ بَشكوال» في كتابِهِ «الصِّلةِ في تاريخِ أَئمَّةِ الأَندلسِ» عَنْ أَبي عمرو الطلمنكي قالَ: دَخلتُ مرسيَّةَ، فَتَشَبَّثَ بي أَهلُها لِيَسمعوا عَنِّي غريبَ المُصنَّفِ، فَقُلتُ لَهُمْ: انظروا إِليَّ مَنْ يَقرأُ لَكُمْ، وأُمسكُ أَنا كتابي؟ فَأَتَوا بِرجلٍ أَعمَى يُعرَفُ بِابنِ سيده، فَقرأَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلى آخرِهِ، فَعجبْتُ مِنْ حِفظِهِ، وكانَ أَعمى بنَ أَعمَى.

وكانَ الطّلمَنكيُّ إِماماً في القِراءاتِ، ثِقةً في رِوايَةِ اللُّغةِ، مُفسِّراً مُحدِّثاً، مَشهوراً بِالوَرعِ ومُحارَبةِ البِدعِ.

❁ ❁ ❁

لَمْ يقتَصِرْ طَلبُ «ابنِ سيده» لِلعلمِ عِنَدَ حَدِّ مُطالَعَتِهِ، أَو حَدِّ سماعِهِ لِلعُلماءِ الَّذِيْنَ أَخذ عَنهُمْ، وإِنَّما رَحلَ وطافَ ونزلَ في بِلادِ المَغربِ ومِصرَ وبِلادِ المَشرقِ العربيِّ أَثناءَ قَصدِهِ لِزيارةِ الأَماكنِ المُقدَّسةِ في مَكَّةَ والمَدينةِ المُنوَّرةِ، وجلسَ بَعضَ الوَقتِ إِلى عُلماءِ المُدنِ الَّتي زارَها ونزلَ فيها، فَسَمِعَ مِنهُمْ، وأَتحفَ عَقلَهُ مِنْ عُلومِهِمْ ومَعارِفِهِمْ.

يَذكُرُ غيرُ واحدٍ مِنَ المُؤرِّخينَ: إِنَّ «ابن سيده» عادَ مِنْ هَذِهِ الرِّحلَةِ الَّتي دامَتْ أَكثرَ مِنْ سَنتينِ بِعلمٍ وافرٍ، ومعرِفَةٍ جَمَّةٍ وعَظيمةٍ، إِذْ تَسَنَّى لَهُ السَّماعُ إِلى عُلماءِ العالمِ العربيِّ والإِسلاميِّ عَنْ قُربٍ، والاغتراف مِنْ علمِهِمْ عَنْ كَثبٍ.

وبَعدَ ذَلِكَ مَكثَ في الأَندلسِ مُتَفرِّغاً لِتَعليمِ النَّاسِ، ونَشرِ ما في مَكنوزِ عَقلِهِ مِنْ عُلومٍ

ومَعارفَ، مُتَنَقِّلاً بينَ مَدينَتي مَرسيَّةَ ودانيَّةَ، وصارَ أَحدَ خاصَّةِ الأَميرِ «أَبي الجيشِ مُجاهدِ بنِ عبدِ اللهِ العامريِّ». ثُمَّ عِندَما آلَتِ الأمورُ مِنْ بَعدِهِ إِلى خَليفَتِهِ الأَميرِ «ابنِ المُوَفَّقِ» حَصلَتْ لَهُ مَعَهُ نَبوةٌ ومُجافاةٌ، فَهربَ مِنهُ، وتَوارَى عَنْ أَنظارِهِ، ولَكِنَّ «ابنَ سيده» ما لَبثَ أَنْ عادَ إِلى عَهدِهِ الأَوَّلِ مَعهُ، وأرسلَ لابن المُوفَّقِ قَصيدةً يَعتذرُ إِليهِ فيها عَمَّا وَقعَ مِنهُ مِنْ جَفاءٍ واعتزالٍ، فَلَما طَرقَتِ القَصيدةُ سَمعَ «ابنُ المُوفَّقِ» راقَتْ نَفسُهُ، ورَضيَ عَنِ «ابنِ سيده» فَرجعَ إِليهِ ولزمَ مجلسَهُ مِنْ جَديدٍ، وكانَ مِنَ القَصيدةِ المَذكورةِ الأَبياتُ التَّاليَةُ كما ذَكرَها ياقوتُ الحمويُّ في مُعجمِ الأُدباءِ:

أَلا هَلْ إِلى تَقبيلِ راحتِكَ اليُمنَى ... سبيلٌ فَإِنَّ الأَمنَ في ذَلكَ واليُمْنا
ضَحَيّتُ فَهلْ في بَردِ ظِلِّكَ نومةٌ ... لِذي كَبِدٍ حَرَّى وذي مُقلَةٍ وسَنا
غَريبٌ نَأَى أَهلوهُ عَنْهُ وشَفَّهُ ... هواهُمْ فَأَمسَى لا يقرُّ ولا يَهنا
إِذا مِيْتَةٌ أَرضَتْكَ عَنَّا فَهاتِها ... حبيبٌ إِلينا ما رَضِيتَ بِهِ عَنَّا

❋ ❋ ❋

يُؤخَذُ عَلى «ابن سيده» عدَّةُ أُمورٍ، ولَكِنَّ هَذِهِ المَآخِذَ لا تُقلِّلُ مِنْ مَنزلَتِهِ العلميَّةِ، ولا تَحطُّ مِنْ قَدرِ كونِهِ مِنْ أَعلامِ الأُمَّةِ؛ إِذْ يَرَى عُلماءُ النَّفسِ أَنَّ طباعَ ذَوي العاهاتِ لا تَخلو مِنَ التَّمرُّدِ عَلى الواقعِ، أَو التَّعمُّدِ في مُجافاةِ أَقرانِهِمْ أَو اعتزالِهِمْ، خُروجاً عَنِ المَألوفِ، وتَعويضاً لِما يَشعرونَ بِهِ في حَنايا أَنفُسِهِمْ مِنْ نَقصٍ أَو حَرجٍ.

ومِمَّا أَخذَهُ المُؤَرِّخُونَ عليهِ:

أولاً: إنَّهُ كانَ يُسرِفُ في اعتدادهِ بِنَفسِهِ إلى حَدِّ المُغالاةِ والعُجبِ والتَّكبرِ المَذمومِ، فَيذكرُ عُلوَّ شَأنِهِ، وارتفاعَ مكانَتِهِ، ويُلصِقُ الجهلَ بِمُعاصريهِ مِنْ أَئمَّةِ اللُّغةِ، ويُعيبُ عَلى الدَّهرِ جَمعَهُ بِهِمْ وجَهلَهُمْ فَضلَهُ، وقَدْ مَرَّ مَعَنا قَولُهُ: «وإنْ كُنتُ بينَ حُثالَةٍ جَهلَتْ فَضلي وأَساءَ الدَّهرُ في جَمعِهِمْ بِمثلي».

لَكِنَّنا نُلاحظُ أَنَّهُ يُقَدِّمُ لِنَفسِهِ الأَعذارَ الَّتِي جَعلَتْهُ يَنأَى هذا المَنأَى في مُقدِّمةِ كتابِهِ «المُحكم»، ويُبَرِّرُ هَفواته بِما وَقعَ بِهِ العُلماءُ الأَوَّلونَ فَيقولُ: «وإذا كانَ المُنفردونَ لِكتابَةِ اللّغةِ وتَكميشِها واحتطابِها وتَقميشِها، كَأَبي عُبيدةَ والأَصمعيِّ قَدْ غَلطوا في بَعضِ ما دَوَّنوا، فَأَنا أَحرَى بِذَلِكَ؛ إذْ هُمْ جاوروا أَهلَ الباديَةِ، وأَطالوا احتلابَ الإبلِ النَّابيَةِ»، ثُمَّ يَقولُ: «ولا أُنكرُ في كُلِّ ذَلِكَ أَنْ تَختَلَّ قَضيَّةٌ مِنْ خَمسَةِ آلافٍ، أَو حَرفٌ مِنْ حروفٍ عَديدةٍ أَضعافٍ».

ثانياً: وأَخذَ عليهِ بَعضُ المُؤَرِّخين مِنْ مُعاصريهِ، أَنَّهُ كانَ شُعوبياً يُفَضِّلُ العَجمَ عَلى العربِ، ولَمْ يَذكروا، أَو يُعلِّلوا لَنا سَببَ هذا التَّفضيلِ، أَو سَببَ هذا المروقِ عَنِ الاعتزازِ بِالعروبَةِ، فَقَدْ قالَ اليسعُ بنُ حَزمٍ[1] عَنِ «ابنِ سيده»: «وكانَ شُعوبياً يُفَضِّلُ العَجمَ عَلى العربِ».

---

(1) اليسع بن حزم: هو أَبو يَحيَى اليسع بن عيسَى بن حزم بن عبد الله الغافقي، وأصله من مدينة جيان في الأندلس، كانَ عالماً مؤرّخاً، رحل إلى مصر ثمَّ عاد إلى الأَندلس، وكتب لبعض الأمراء في شرق الأندلس، ولَه تأليف أَسماه المُعرّب في تاريخ أهل المَغربِ. توفي سنة 575هـ.

ثالثاً: كما أَخذَ عليهِ البَعضُ أَنَّهُ وَقعَ في كَثيرٍ مِنَ الأَغلاطِ الثَّقيلَةِ والقاتلَةِ ـ كما يُقالُ ـ الَّتِي تُخرجُهُ عَنْ سَواءِ الفَهمِ، أَعظم مِنَ الأَغلاطِ الَّتِي عابَ بِها غيرَهُ مِنَ العُلماءِ والأَئِمَّةِ المُصَنِّفينَ، فَقَدْ حَطَّ عليهِ «أَبو زَيدٍ السُّهيلي» في كتابِهِ «الرَّوضِ الأُنُفِ» قالَ: «تَعثَّرَ في «المُحكمِ» وغيرِهِ عَثراتٍ يَدمَى مِنها الأَظلُّ، ويُدحضُ دَحضاتٍ تُخرِجُهُ إِلى سَبيلِ مِنْ ضَلَّ، حَتَّى إِنَّهُ قالَ في الجِمارِ: هيَ الَّتِي تُرمَى بِعرَفَةَ[1].

وقالَ فيهِ «أَبو عَمرو بنُ الصَّلاحِ» المُؤرِّخُ المَشهورُ: «أَضَرَّتْ بِهِ ضِرارَتُهُ»[2].

❁ ❁ ❁

ولَكِنْ عَلى الرَّغمِ مِنْ تِلكَ المَثالبِ الَّتِي أُخذِتْ عَلى «ابن سيده» نَرَى بَعضَ المُؤرِّخينَ، يَعدونَهُ أَحدَ أَقطابِ العلمِ الَّذِيْنَ لا يُنكرُ فَضلُهُمْ بِما قَدَّموهُ مِنْ جهودٍ ضَنينَةٍ خِدمةً لِلعربيَّةِ سَيدَةِ اللُّغاتِ فَوقَ ظَهرِ البسيطَةِ، فَقَدْ قالَ عَنهُ مُعاصرُهُ «الحُميديُّ» في كتابِهِ «جَذوةِ القَبسِ» ـ وقَدِ التَقَى بِهِ وجالسَهُ في الأَندلسِ ـ: «إِمامٌ في اللُّغةِ والعربيَّةِ حافظٌ لَهُما، على أَنَّهُ كانَ ضَريراً قَدْ جمعَ في ذَلكَ جُموعاً، ولَهُ معَ ذَلكَ في الشِّعرِ حَظٌّ وتَصرُّفٌ».

وقالَ عَنهُ «الصَّفديُّ» في كتابِهِ «الوافي بِالوَفيَّاتِ»: «وكانَ معَ تَوفُّرِهِ في علومِ العربيَّةِ مُتوفِّراً عَلى عُلومِ الحكمةِ، وأَلَّفَ فيها تَواليفَ».

وكانَ أُسلوبُهُ في الكتابَةِ والتأليفِ والتَّصنيفِ يُشبِهُ إِلى حَدٍّ كبيرٍ أُسلوبَ الحُكماءِ

---

(1) أَي يَرميها الحاجُّ عَلَى جَبلِ عَرفاتٍ، والأَصحُّ أَنَّها جَمراتُ العقبة تُرمَى في مِنَى أَيَّامَ التَّشريقِ.

(2) أي أَضرَّتْ بِهِ العيوبُ الَّتِي التمسَها لِغيرِهِ، ووَقعَ فيها ذاتها في مُصنَّفاتِهِ.

والمُتقدمينَ مِنْ أَهلِ المَنطقِ والفَلسفَةِ والحكمةِ. وقَدْ شَبَّه البَعضُ مُقدِّمَتَهُ في كتابِهِ «المُحكم» بِكلامِ الحُكماءِ. قالَ فيهِ «ابنُ قاضي شهبة» في طَبقاتِهِ: «ومَنْ وقفَ عَلى خُطبَةِ كتابِ المُحكمِ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ أَربابِ العُلومِ العقليَّةِ، وكتبَ خُطبَةَ كتابٍ في اللُّغةِ إِنَّما تَصلحُ أَنْ تكونَ خُطبَةً لِكتابِ الشِّفاءِ لابن سينا».

كَما قيلَ عَنْهُ عَلَى تَبَحُّرِهِ بِاللُّغَةِ والنَّحوِ: «كانَ كثيرَ العِنايَةِ بِعلمِ المَنطقِ، وقَدْ تَأَثَّرَ في ذَلكَ بِمذهبِ العالمِ الكبيرِ، والمَنطقيِّ الفيلسوفِ «يونسَ بنِ مَتَّى»، وأَثرُ المَنطقِ واضحٌ في مُؤلَّفاتِهِ ومُصنَّفاتِهِ، وبِشكلٍ خاصٍّ في كتابيهِ «المُخصَّصِ» و«المُحكمِ»».

ولابنِ سيده مُؤلَّفاتٌ ومُصنَّفاتٌ كثيرةٌ في اللُّغةِ والنَّحوِ والعَروضِ والشِّعرِ والمَنطقِ، مِنها ما وَصلَ إِلينا، ومِنها ما ضاعَ واندثَرَ معَ مرورِ الأَيامِ، وكُتُبُهُ الَّتِي وَصلَتْ إِلينا هيَ:

1 ـ شَرحُ مشكلِ شعرِ المُتَنبي.

2 ـ المحكمُ: وهوَ مُعجمٌ لُغويٌّ كبيرٌ في (18) جزء، وذَهبَ فيهِ مذهبَ اللُّغويينَ قبلهُ في تَرتيبهِ عَلى حروفِ الهجاءِ، وفي ترتيبِ الحروفِ حسبَ المخارجِ وترتيبِ المَوادِّ طبقاً لَها، وأَيضاً في سَوقِ الشَّواهدِ وتَرتيبِها.

3 ـ المُخصَّصُ: ويَتألَّفُ مِنْ (17) جزءاً، وجمعَ فيهِ تَفاريقَ ما سَمعَ وما وَعَى مِنْ كُتبِ المُتقدمينَ، وقَسَّمَهُ إِلَى عدَّةِ أَبوابٍ، ويَشتملُ هذا الكتابُ ـ إِضافةً إِلى الأَبحاثِ اللُّغويَّةِ ـ عَلى أَبحاثٍ زراعيَّةٍ هامَّةٍ تَتعلَّقُ بِموضوعاتِ الأَرضِ الزِّراعيَّةِ وعواملِ خُصوبتِها

وجَدبِها، وأَنواعِ تُربَتِها مِنْ صحَّةٍ ووَبالٍ، وكَذلِكَ أَبوابٍ في النَّباتاتِ والشَّجرِ والثِّمارِ وأَنواعِها وعُيوبِها.

توفي «ابنُ سيده» سنةَ (458) هجريَّةً، وقَدْ بلغَ ستينَ سنةً أَو نَحوَها.

الأسئلة والمناقشة

1 ـ بِمَنْ يُذَكِّرُنا ابن سيده في العصرِ الحديثِ؟

2 ـ ما سبَبُ قوَّةِ بَصيرةِ العُميانِ؟

3 ـ أَينَ ولدَ ابن سيده، ومَنْ هُمْ شيوخُهُ ومُعلِّموهُ؟

4 ـ هَلِ اقتصَرَ طلبُ ابنِ سيده للعلمِ عند حدِّ المُطالعةِ أَو سماعِ العُلماءِ، كيفَ؟

5 ـ عَدِّدِ المَآخذَ الَّتِي تُؤخذُ عَلى ابن سيده.

6 ـ ماذا قالَ أَبو عَمرو بنُ الصَّلاحِ المُؤرِّخُ المَشهورُ في ابن سيده؟

7 ـ كيفَ كانَ أُسلوبُ ابن سيده في الكتابَةِ والتأليفِ؟

8 ـ اذكرْ مؤلَّفاتِ ابنِ سيده الَّتِي وَصلَتْ إِلينا.